

سياسة
التراث

بيروت

وثيقة توجيهية 8

سياسة التراث:

لِمَ تُؤثر الذاكرة في المدن المقسّمة على المستقبل؟

نسيانها. وتشتعل معارك الذكريات من خلال السيطرة على النصب التذكارية والمتاحف واحتفالات إحياء الذكرى والمواقع الأثرية. وفي المدن المتنازع عليها، تخدم تفسيرات الماضي بشكل منتظم احتياجات الحاضر، المتحيزة غالباً. وحتى في الأزمات الحادة، لا يمثل التراث رفاهية غير ضرورية، وتفيد استنتاجات بحث "النزاع في المدن" بأنه إذ كانت الحكومات والهيئات الدولية وصانعو السلام جادين في إرسال رسائل عن المستقبل المشترك، يجب استخدام هذه المواقع والفعاليات بفعالية أكبر لسرد قصص أكثر تعقيداً، بما في ذلك قصص الأقليات.

القصص التاريخية تبرر الأجدات السياسية

لا تؤثر الشؤون السياسية للتراث على المواقع والفعاليات العامة فحسب، بل على الذكريات الشخصية. وتعمل الجوانب التي يتم تذكرها وتلك التي يتم نسيانها على التشكيل العميق لأسلوب صياغة الوقائع التاريخية للمدن المتنازع عليها، وغالباً ما يشمل ذلك إعادة سرد أحداث الماضي المعقدة والدقيقة بصور مختزلة أو يكسوها الحنين إلى الماضي وقد تصوغ الذكريات تجارب من

غالباً ما ترجع جذور النزاعات الحضرية إلى مطالبات متنافسة بالحق في ماضي المدينة، وقد تصبح مواقع التراث نقاطاً محورية في المدن المقسّمة جراً رمزيتها القوية والمشاعر القوية التي تستثيرها. ولا يميز الناس ماضيهم المتنازع عليه في هذه المواقع فحسب، بل يميزونه أيضاً بفعاليات كالمواكب والمسيرات، وبتعبيرات أكثر عفوية كالرسوم على الجدران. وأثناء النزاع المسلح، قد تصبح مواقع التراث أهدافاً أساسية، تلحق جراحاً عاطفية ونفسية في الطرف "الأخر"، وتلفت انتباه المجتمع الدولي. وقد يمثل تدمير أحد مواقع التراث أو إشارة الاضطرابات في أحد الفعاليات التذكارية، القشة التي قصمت ظهر البعير مؤدية لبدء العنف الشامل. وعندما ترتبط المواقع والفعاليات، قد تصبح بضعاً ساخنة للخلاف، يمكن أن تؤدي حتى التغييرات الطفيفة بشأنها، سواء في الاستخدام أو التفسير أو الوصول، إلى تحفيز اندلاع المصادمات.

وتُعد مواقع التراث والفعاليات عناصر محورية في كيفية النظر إلى المدن المقسّمة، وهي تؤثر في الأحداث التي يتم تذكرها أو

الإستنتاجات الرئيسية للسياسة

- ينبغي أن تجسد القوة السياسية للتراث في أية محاولات لتسوية النزاع.
- إن المنهج التقليدي لإدارة التراث هو الحفاظ على "الموت الآمن" للمواقع. وبدلاً من ذلك، ينبغي التفكير في مواقع التراث كأجزاء حية من البيئات السياسية المحلية، ذات الصلة بالمكان والممارسات اليومية.
- يمكن تعزيز الحفاظ على التراث من خلال ربطه مع عمليات تحسين المرافق الاجتماعية كالإسكان والصرف الصحي وإمداد المياه.
- غالباً ما يكون قمع الفعاليات والمواقع المتحيزة غير واقعي وغير فعال، وينبغي بدلاً من ذلك التفكير في إعداد فعاليات ومواقع تعبر عن وجهات نظر مختلفة.
- ينبغي أن تراقب الجهات الدولية التراث في المناطق المتنازع عليها عن كثب، مع تحميل المقاولين المسؤولية المناسبة عن الأنشطة التي يقومون بها. وينبغي استشارة المجموعات المحلية والحكومات القومية.

التراث نداء احتشاد للمقاومة والعصيان، وقد يمثل جزءاً من نضال بعض الجماعات للحفاظ على تواجدها في المدينة. ومن ثم ترتبط أعمال التراث هذه في الأغلب بالتاريخ الحديث وحماية المجتمعات المحلية المتواجدة حالياً.

الماضي يخدم الحاضر

في المدن المتنازع عليها، تخدم المنشآت التذكارية احتياجات الحاضر بطريقة أكثر فعالية من المدن الأخرى. إذ تمثل هذه المنشآت علامات تميز حدود المناطق، وتحد من وجود جماعات معادية، أو قد تمثل مستودعات تجمع الصراعات الوشيكة وتبرزها. في بلفاست وديري، غالباً ما تكون الجداريات ذات موقع محدد، حيث تركز على الأحداث المهمة للمجتمع المحلي وتؤدي وظيفة توجيهية داخلية. وتقع الجداريات التفصيلية أو الحدائق التذكارية في المجتمعات المحلية الأقل بروزاً كعلامات حدودية، وقد تتعرض للتدمير من الجماعات الخارجية.

يستخدم الشباب (الذين ليس لديهم ذاكرة مع النزاع ذاته) آثار الحرب ومخلفات النزاع في بيروت لتبرير المواجهات المستمرة ونزاعات الفصل اليومية المعاصرة والكراهية وانعدام الثقة. وتستخدم النصب التذكارية في فوكوفار كعلامات حدودية، تحدد الأرض والسيطرة. وقد جُعلت سلسلة من النصب التذكارية "لحرب الاستقلال" التي تخلد ذكرى الكرواتييين، مرتبة للصرع عن عمد. ومن ثم قد يعمل إنشاء النصب التذكارية على إطالة أمد النزاع بادعاء وقوع مجموعات محددة كضحايا حصريين أو تعزيز الانقسامات العرقية.

حتى عقب إزالة الحدود المادية، قد تظل باقية في ذكريات الناس. فبعض قاطني برلين متأثرون للغاية بذكرياتهم عن المدينة المقسمة، حتى أنهم لا يزالون يترددون اليوم في استخدام المناطق التي كانت خارج الحدود قبل الوحدة. ويؤكد ذلك على صعوبة توحيد المدينة بعد انقسامها. وفي نيقوسيا، تُعد تجربة العديد من القبارصة الشباب في المدينة مقتصرة على أماكن محددة، ويغلب عليهم تجنّب المناطق الواقعة على أطراف المنطقة العازلة. وهم ينظرون إلى هذه الأماكن المهمة على أنها تراث النزاع الذي لم يشهده، لكنها تؤثر على استخدامهم للمدينة في الوقت الراهن.

ويمكن أن تمثل عمليات التنقيب الأثرية والحفاظ على الآثار أدوات للنسيان، لأن الرواسب الثقافية الأحدث يتم إتلافها دوماً أثناء محاولة الوصول إلى الآثار التي تُعد أكثر قيمة. وتعرض الأعمال الأثرية

عاشوا أثناء النزاع، على سبيل المثال، لا يتمثل التحدي الذي يواجه المجتمع اللبناني في تذكّر الحرب أو نسيانها، بل كيف يمكن للذاكرة التاريخية أن تتيح لمجتمعات لبنان المحلية المتنوعة فهم الجوانب التي تسهم في انقسامها، وتلك التي تعمل على توحيدها.

وبالنسبة للجماعات المهيمنة، تمثل الذاكرة وسيلة لترسيخ معنى السلطة والتحكم. وغالباً ما تُستخدم الآثار والمواقع التاريخية والتراث في إضفاء صفة الشرعية على السلطة المهيمنة على المواقع الرئيسية. منذ عام 2000، تم إسناد الأعمال الأثرية في القدس على نطاق واسع إلى جماعات قومية يهودية مثل جماعة إعاد. وفي الوقت ذاته، عرّفت الحركة الإسلامية نفسها بوصفها حارس التراث الإسلامي أثناء عملية تجديدها المؤسسة الغاية للمصلى المرواني في المسجد الأقصى بالقدس. وبقيامها بذلك، قوّضت الحركة الإسلامية سلطة إدارة الوقف الإسلامي الراسخة منذ عهد بعيد. حتى إعادة إعمار طريق الدخول إلى الحرم الشريف/جبل الهيكل، تسببت في مصادمات بين الجماعات الإسرائيلية والفلسطينية.

وفي فوكوفار، هناك اختلال عميق في الحفاظ على التراث، حيث تُمنح الأولوية للمباني الكرواتية في حين يتم تجاهل التراث الصربي أو إهماله أو "تحييده". وبالنسبة للجماعات الفرعية أو الأقليات، صار



يجتذب الموكب السنوي الذي يخلد ذكرى سقوط فوكوفار آلاف الكرواتيين من كل أرجاء البلاد. وينضم المدنيون إلى قوات الجيش الكرواتي في مسيرة عبر وسط المدينة إلى النصب التذكاري "لحرب الاستقلال". وبعد عشرين عاماً من الحصار، لا تزال ندوب الحرب تكسو الشارع الرئيسي.

أشكال فلسطينية من المواجهة والمقاومة لجدار الفصل في القدس، تشمل رسوماً جدارية وفنون الاحتجاج وإعلانات تجارية. وتستخدم الممارسات المعارضة هذا الجدار كمكان للنزاع العام وتشير إليه كحيز سيتم استرداده. غير أننا قد نتساءل عما إذا كان ذلك يساعد في جعل الجدار يبدو سمة طبيعية ودائمة من سمات الحياة الحضرية، ويشجع مزيداً من الزحف والتعدي على ذلك الحيز الفلسطيني من قِبَل فناني الرسوم الجدارية الغربيين ونشطاء الجناح اليساري الإسرائيلي.



أيضاً أن تكشف عن ماضي آخر مشترك أو تعددي، ومن ثم تشجع الوصول إلى مستقبل مشترك. وقد يكون ذلك صعباً إذا كانت السيطرة على المدينة محل نزاع، وإذا كانت مواقع التراث تعرض رؤى متحيزة. وتشتمل العديد من المدن المتنازع عليها على متاحف للنضال الوطني، تعرض أحداثاً تاريخية متضاربة وتمحيزة في أغلب الأحيان. وعندما يكون لجماعات مختلفة الحق في الأماكن ذاتها، من المهم أن تكون طبيعة النزاع على هذه الأماكن واضحة. وهنا تظهر نقطتان: الأولى، على الرغم من تمثيلها الذاتي، ليست هناك جماعة متجانسة بشكل تام، ولن يوافق كافة أعضاء أي جماعة عرقية أو قومية أو دينية واحدة على الآراء المتطرفة التي قد يتم التعبير عنها في الآثار أو المتاحف أو الفعاليات. أما النقطة الثانية فهي أنه عندما تعبر المواقع أو الفعاليات عن آراء متحيزة، لا يكون من المُجدي دوماً تحويلها إلى تعبيرات "متوازنة" تمثل كل وجهات النظر. بل ينبغي الحكم عليها لتحديد ما إذا كانت تثير العنف بشكل منتظم أم لا. وقد يساعد التعبير عن وجهات نظر أخرى مناظرة في أماكن أخرى في موازنة الموقف وعرض مختلف الآراء.

ومتى أمكن، يمكن إدراج قصص موحدة ودقيقة في الخطاب العام والتعليم. في نيقوسيا، تم بذل جهود معقولة لتقديم صورة موحدة لتراث المدينة، وشهد المخطط العام لنيقوسيا تجديد المباني التاريخية التي شملت الكنائس والمساجد العثمانية على كلا جانبي المدينة، مصحوباً بكتيب إرشادي ومسار سير يجمع هذه المواقع سوياً. كما تمثل التوعية بالتراث وسيلة قيّمة لتعزيز الفهم المشترك للمدينة، وكذلك قد تساعد زيارات المتاحف والمواقع بصحبة ممثلين لمختلف المجتمعات المحلية في ضمان التعرّف على وجهات النظر الأخرى.

الانتقائية التي تقوم بها جماعة إعداد في حي سلوان الفلسطيني باعتباره مدينة الملك داود التوراتية. ويجسد مركز الزائرين الشهير في هذه الآثار رؤية محرفة أحادية الجانب للماضي، والتي تلاقي قبولاً لدى السائحين الأجانب ذوي المعلومات المحدودة الذين يزورون المكان بأعداد كبيرة، والجماعات اليهودية المحلية المصابة بفقدان ذاكرة جماعي. ويُعزّض الطرف عن مئات السنوات التي سكن فيها الفلسطينيون المكان، وتتم مصادرة المنازل القائمة في طريق الموقع الأثري لصالح ما يُطلق عليه المصلحة القومية لإسرائيل.

وقد تبرز الأحداث والاحتفالات التذكارية الاختلافات بين الفصائل الحضرية وبين أفراد كل فصيلة من الفصائل. ويؤدي موسم المسيرات أحياناً إلى اندلاع العنف بين مختلف الجماعات، لكنه مع هذا يمثل جزءاً راسخاً من تقويم بلفاست. ومن ناحية أخرى، تعد احتفالات ذكرى ثورة عيد الفصح الجمهورية عام 1916 وسيلة لتعزيز الأجندة السياسية، حيث تبرز هذه الاحتفالات الاختلافات الداخلية بشأن توجّه الحركة الجمهورية، إذ تعقد الفصائل المختلفة احتفالات مستقلة في الموقع ذاته، لكن في أوقات مختلفة. وفي فوكوفار، يحضر الكرواتيون من كل مكان ذكرى 18 تشرين الثاني السنوية في المدينة (تخليداً لذكرى سقوط المدينة عام 1991). وغالباً ما يقوم أشخاص من خارج فوكوفار في هذه المناسبات بارتكاب أعمال التخريب والعنف، كالإضرار بالممتلكات الصربية.

الحاجة إلى وجهات نظر متعددة

في حين يمكن الاستيلاء على مواقع التراث لبحث المعاني العرقية القومية الحصرية وتجسيد رؤى ذات خصوصية للماضي، يُحتمل



يبرز النصب التذكاري للقتلى من يهود أوروبا، والذي يمثل جزءاً من شبكة النصب التذكارية في معرض "هيسنوري مايل" في شارع فيلهيلمستر اسيه، اضطراب أساليب تذكر الألمان لأحلك الأوقات.

وبالإضافة إلى العمل مع ممثلي الحكومة، يجب أن تتسق المؤسسات الدولية للتراث مع المؤسسات المحلية. ويشمل ذلك خطوات أكثر من مجرد إسناد أعمال التراث إلى الهيئات المحلية أو المجموعات الخاصة، بل يجب البحث عن رؤى مختلف المجموعات المحلية قبل اتخاذ قرارات بشأن التراث. وقد تجعل الطبيعة السياسية للتراث والآثار وإجراءات الحفاظ عليها في المدن المقسمة عمل المؤسسات الدولية مثل اليونسكو، التي تعتمد على الدعم المقدم من الحكومات، صعباً للغاية. وتوضح عيوب هذه الترتيبات باعتراف منظمة اليونسكو غير المسبوق بفلسطين عام 2011، وهو ما أدى إلى تغيير علاقتها بإسرائيل وخسارة التمويل الأمريكي.

قراءات أخرى

- Badescu, G. (2016) 'Achieved without Ambiguity?': Memorializing Victimhood in Belgrade after the 1999 NATO Bombing, *Südosteuropa. Journal for Policy and Society*, 64.4, pp.500-519.
- Badescu, G. (2019) Traces of Empire: Architectural Heritage, Imperial Memory and Post-War Reconstruction in Sarajevo and Beirut, *History and Anthropology*.
- Badescu, G. (2019) Making Sense of Ruins: Architectural Reconstruction and Collective Memory in Belgrade, *Nationalities Papers*.
- Baillie, B. (2012) Archaeology in Ethnic Conflict. In Neil Asher Silberman (ed). *Oxford Companion to Archaeology*, 2nd ed. Oxford: Oxford University Press.
- Baillie, B. (2013) Memorializing the 'Martyred City': Negotiating Vukovar's Wartime Past. In W. Pullan & B. Baillie (eds) *Locating Urban Conflicts: Nationalism, Ethnicity, and the Everyday*. Palgrave Macmillan.
- Baillie, B. (2013) Approaches to Heritage Management in the Contested City of Jerusalem, in Bowe, M.K. et al (eds.) *Heritage Studies: Stories in the Making*, Newcastle: Cambridge Scholars Publishing, pp.19-50.
- Baillie, B. (2015) Heritage and the right/the right to heritage, in Benesch, H. et al (eds.) *Heritage as Common(s) - Common(s) as Heritage*. Gothenburg: Makadam Publishers, pp.255-264.
- Baillie, B. (2019). The Dudik Memorial Complex: Commemoration and Changing Regimes in the Contested City of Vukovar, in Sørensen, M-L. et al (eds.) *Memorials and Memorialisation: roles and transformation*, New York and London: Palgrave Macmillan.
- Bakshi, A. (2012) A Shell of Memory: The Cyprus Conflict and Nicosia's Walled City. *Memory Studies* 5(4), pp.477-94.
- Bakshi, A. (2017) *Topographies of Memories: A New Poetics of Commemoration*, New York & London: Palgrave Macmillan.
- Dumper, M. and Larkin, C. (2012) The Politics of Heritage and the Limitations of International Agency in Divided Cities: The role of UNESCO in Jerusalem's Old City. *Review of International Studies*, 38(1), pp.25-52.
- Larkin, C. (2010) Remaking Beirut: Contesting Memory, Space and the Urban Imaginary of Lebanese Youth. *City and Community*, 9(4), pp.414 -442.
- Larkin, C. (2012) *Memory and Conflict in Lebanon: Remembering and Forgetting the Past*. London: Routledge.
- Pullan, W. and Gwiazda, M. (2009) Designing the Biblical Present in Jerusalem's 'City of David'. In A. Webber, U. Staiger & H. Steiner (eds) *Memory Culture and the Contemporary City: Building Sites*. London: Palgrave Macmillan.
- Pullan, W. and Sternberg, M. (2012) The Making of Jerusalem's Holy Basin. *Planning Perspectives*, 27(2), pp.225-48.
- Pullan, W., Sternberg, M., Larkin, C., Dumper, M. and Kyriacou, L. (2013). *The Struggle for Jerusalem's Holy Places*. London and New York: Routledge.
- Pullan, W. (2017) Heritage wars – the politics behind the US pulling out of Unesco, *New Statesman*, 26 October 2017; <https://www.newstatesman.com/2017/10/heritage-wars-politics-behind-us-pulling-out-unesco> Page
- Sternberg, M. (2017) Transnational urban heritage? Constructing shared places in Polish-German border towns, *City*, 21.3-4, pp.271-292.

الباحثون

دكتورة بريت بايلي، كامبريدج
دكتورة أنيتا باكشي، كامبريدج
ناديرا كاراكي - باتل، كامبريدج
ليفكوس كريكو، كامبريدج
دكتورة ميلينا كوماروفا، كوينز بلغاست
رزان مخلوف، إكستر
دكتورة مارتينا ماكنايث، كوينز بلغاست

المحققون

دكتورة ويندي بولان، كامبريدج
بروفسور جيمس أندرسون، كوينز بلغاست
بروفسور ميك دمير، إكستر
بروفسور ليام أودود، كوينز بلغاست

الشركاء

دكتورة كاتي هايورد، كوينز بلغاست
دكتور كريج لاركن، كلية كينجز لندن
بروفسورة ماديلين ليونارد، كوينز بلغاست
دكتور رامي نصر الله، مركز التعاون والسلام الدولي، القدس
دكتور كارل أوكونور، ليمريك
دكتورة ليزا سميث، كوينز بلغاست
دكتور ماكسميلان شتينبيرج، كامبريدج
دكتور بيب والاش، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية
دكتور حاتم ياكوبي، جامعة بن جوريون

طلاب الدكتوراه

جوليا كارابيلي، كوينز بلغاست
مونیکا هالكرت، كوينز بلغاست
كونستانتن كاستريسيانكيس، كامبريدج
ليندا روتام، كوينز بلغاست
كيلسي شاتكن، إكستر

يستعرض بحث "النزاع في المدن والدول المتنازع عليها" الكيفية التي تشكلت بها المدن في أوروبا والشرق الأوسط نتيجة للزاعات العرقية والدينية والقومية، مع الإشارة بشكل خاص إلى العمارة والمناطق الحضرية كإطار للأنشطة والأحداث اليومية. ويعني البحث بقدره المدن على امتصاص النزاع ومقاومته وربما لعب دور فعال في إحداث تحول جذري به. علماً بأن أماكن البحث الرئيسية هي مدينتا بلغاست والقدس، بالإضافة إلى استيتيان تكيملي للمدن الأخرى المقسمة مثل برلين وبيروت وبروكسل وكركوك وموستار ونيفوسيا وطرابلس (لبنان) وفوكوفار. وتتولى إدارة هذا المشروع متعدد التخصصات ثلاث جامعات بريطانية هي جامعة كامبريدج وإكستر وكوينز بلغاست، بالتعاون مع شبكة دولية من الشركاء. كما يتم تمويل البحث عن طريق برنامج المنح الكبرى الصادر عن مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية للمملكة المتحدة

(RES-060-25-0015)

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لصالح النزاع في المدن، نوفمبر 2012، تم تحديثها من قبل مركز بحوث النزاعات الحضرية، 2019. مع جريل الشكر لشركة اوف اروب اند بارتنرز انترناشيونال لتد لندن لما قدمته من دعم قامت بأعمال الترجمة شركة لاجسيير.

www.urbanconflicts.arct.cam.ac.uk

تقدم هذه المادة مجاناً للاستخدام الشخصي وغير التجاري، شريطة الإشارة إلى المصدر. كما يتعين الحصول على تصريح كتابي مسبق من مسؤولي "النزاع في المدن"، بشأن الاستخدامات التجارية أو أي استخدام آخر. ولا يجوز بأي حال من الأحوال تعديل هذه المادة العلمية أو بيعها أو تأجيرها.